(فضاء المكان في رواية "آمنت بك" لليلى بشار الكلوب)

د. مالك سالم الصرايرة*

تاريخ وصول البحث: 2023/3/26م تاريخ قبول البحث: 2023/6/6م

الملخص

هدف البحث إلى دراسة وتحليل رواية "آمنت بك" للروائية الأردنية ليلى بشار الكلوب، للوقوف على فضاءات المكان وعلاقته بالزمان، وشخصيات الرواية. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يعتمد على تقصي فضاء المكان في الرواية وتحليل مدلولاته في سياقه الروائي، وقد جاءت الدراسة بأربعة عناوين رئيسة هي: مفهوم المكان الروائي وأهميته، وعلاقة فضاء المكان بالشخصية، وعلاقة فضاء المكان بالزمان، وعلاقة فضاء المكان بالأحداث. وأظهرت نتائج الدراسة أن فضاء المكان في الرواية لم يكن بالمقصود الجغرافي المادي بقدر ما منحه ذلك الفضاء من دلالات للسرد الروائي، فاتضحت أهمية المكان كتقنية فاعلة في النص الروائي، الذي أصبح الروائي يهتم بأدق تفاصيله ليشكله بما يتناسب مع الجو العام للنص الروائي. كما أظهرت العلاقة ذات الارتباط الوثيق بين فضاء المكان، والشخصيات، والزمان، والأحداث.

الكلمات المفتاحية: فضاء – المكان – رواية - آمنت بك

الكلمات المفتاحية: منهج البخاري، تصرف البخاري، الاختصار بالحذف، اختصار الحديث.

* باحث.

The Space of Place in the Novel *I Believed in You* by Laila Bashar Al-Kloub

ABSTRACT

The aim of the research is to study and analyze the novel *I Believed in You* by the Jordanian novelist Laila Bashar Al-Kloub and to identify the spaces of place, its relationship to time, and the characters of the novel. The study relied on the analytical descriptive approach, which relies on investigating the space of place in the novel and analyzing its implications in its fictional context. The results of the study showed that the space of the place in the novel was not meant to be physical geography as much as other connotations that the space has given to the novelistic narrative, so the importance of the place became clear as an effective technique in the fictional text, which the novelist became concerned with its smallest details to shape it in proportion to the general atmosphere of the fictional text. It also showed the close relationship between the space of place, personalities, time, and events.

Keywords: Space, Place, Novel, I believed in you.

المقدمة:

يشغل الفضاء المكاني مرتكزًا أساسيًّا في العمل السردي، فهو الفضاء الذي تتحرك بداخله الشخصيات، ضمن أحداث السرد، وتكاد تجتمع التقنيات السردية في فضاء الأمكنة التي يختارها الروائي، لتتناسب مع تلك الشخصيات بما تحمله من مشاعر وأحاسيس، وتتوافق مع الأحداث صعودًا ونزولًا، ويتشكل الزمن الروائي مع فضاء المكان، لذا فالروائي يدقق في اختيار فضاءات الأمكنة في روايته، ولا يقصد هنا المكان الجغرافي، بل بما يمنحه المكان من دلالات وما يضيفه على العناصر الروائية الأخرى.

فقد يحمل المكان رموزًا يؤديها داخل العمل الروائي تصريحًا في حالات وتلميحًا في أخرى، فشكل الاعتناء باختيار الفضاء المكاني محط اهتمام الروائيين بشكل خاص، حتى أن النقاد يوجهون نقدهم وتحليلهم نحو هذا الفضاء، وما يؤديه من دلالات تخدم العمل الروائي.

وقد تكون تلك الدلالات التي يؤديها الفضاء المكاني دلالات دينية أو سياسية أو ثقافية أو غيرها، وقد يعمد الروائيون إلى توظيف دلالات المكان تجنبا للخوض في بعض القضايا التي تشكل صراعًا عقائديًّا، فقضية الدين والحب من القضايا التي حاول الكثير من الروائيين تجنب الخوض بها، أو تناولها ضمن أعمالهم الروائية، لأن الدين في المعتقدات المجتمعية يطغى على أي شيء آخر، حتى وإن كان في العلاقات الإنسانية كالحب، لأن الدخول في تلاقي المشاعر مع اختلاف الدين، هو دخول في المحرمات الاعتقادية عند أصحاب كل دين، فثنائية الحب والدين كانت محل جدل عميق، ضمن العرف والعادات والتقاليد المجتمعية، والاعتقادات الدينية الراسخة، وما تناولته رواية "آمنت بك" تمحور حول ثنائية الحب والدين، فقد ولد الحب بين قلبين، ولكن اختلاف الدين وضع نهاية لهذا الحب.

جاءت رواية "آمنت بك" لتطرق بابًا محكم الإغلاق مستحكمة حلقاته، رواية مليئة بالمشاعر والأحاسيس؛ إذ تتحدث عن قصة حب عاشها شاب مسيحي لفتاة مسلمة، وأجبر على أن يخفي ديانته حتى لا يكون الدين عائقًا أمامه خاصة أن الإسلام يحرم أن تتزوج الفتاة المسلمة بشاب مسيحي وبقي هذا الشاب في صراع مع ذاته.

في هذه الرواية التي فتحت بابا بعُد عن طرقه كثيرون، كان الوقوف على تقنية الفضاء المكان هدفًا لهذه الدراسة، للتعرف على علاقته بتقنيات أخرى تمثلت بالشخصية، والزمان، والحدث.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تكمن مشكلة الدراسة في الوقوف على خصوصية الفضاء المكاني في رواية "آمنت بك" باستقصاء ذلك الفضاء، وإحصائه، ودراسته، وتحليله في سياقه الروائي، لذا جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على هذه التقنية بدراستها تطبيقا على رواية "آمنت بك" "لليلى بشار الكلوب". ويمكن تحديد مشكلة الدراسة من خلال الأسئلة الآتية:

1.ما الفضاء المكاني في السرد الروائي؟ وما هي أهميته السردية؟

2.ما علاقة فضاء المكان بالشخصيات في رواية "آمنت بك" لليلى بشار الكلوب؟

3.ما علاقة فضاء المكان بالزمان السردي في رواية "آمنت بك" لليلى بشار الكلوب؟

4.ما علاقة فضاء المكان بالأحداث السردية في رواية "آمنت بك" لليلى بشار الكلوب؟

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية موضوعها الذي يتناول فضاء المكان في رواية "آمنت بك" لليلى بشار الكلوب، ذلك الموضوع الذي يحظى باهتمام النقاد والباحثين في الآونة الأخيرة، من حيث أهمية فضاء المكان في السرد الروائي، إضافة إلى أهمية الموضوع الذي تمحورت حوله أحداث الرواية وهو ثنائية الدين والحب.

أهداف الدراسة:

1.الكشف عن علاقة فضاء المكان بالشخصيات في رواية "آمنت بك" لليلى بشار الكلوب.

2.الوقوف على علاقة فضاء المكان بالزمان السردي في رواية "آمنت بك" لليلى بشار الكلوب.

3.التعرف على علاقة فضاء المكان بالأحداث السردية في رواية "آمنت بك" لليلى بشار الكلوب.

الدراسات السابقة:

لم تكن رواية "آمنت بك" لليلى بشار الكلوب محورًا لأي دراسة – على حد علم الباحث- كانت هذه هي أول دراسة تتناول هذه الرواية، ولكن المكان كتقنية روائية عرفتها الرواية الغربية والعربية، فقد تناوله غير باحث بالدرس والتحليل والتطبيق، فتعددت الدراسات التي تناولت فضاء المكان، وطبقت هذه الدراسات على روايات عربية كثيرة، ومن الصعوبة بمكان حصرها، وتحديد موضوعاتها، لكثرتها وتنوعها، فالمكان كان محورا رئيسا لها. وبالعودة إلى المكتبة العربية سيجد الباحثون غير دراسة تناولت المكان وفضاءاته.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، بدراسة رواية "آمنت بك" والوقوف على فضاء المكان في هذه الرواية، ودراسة علاقته بالشخصيات والزمان والأحداث.

وقسمت هذه الدراسة إلى أربعة عناوين فرعية، هي: مفهوم المكان الروائي وأهميته، وعلاقة فضاء المكان بالشخصية، وعلاقة فضاء المكان بالزمان الروائي، وعلاقة فضاء المكان بالأحداث.

وانتهت الدراسة بخاتمة تتضمن أبرز ما تمّ التوصل إليه من نتائج وتوصيات

علاقة فضاء المكان بالشخصية:

إن للمكان علاقة تفاعلية تبادلية عميقة مع الشخصية، ويرتبط المكان بالشخصية ارتباطا قويا، فهو "قوة فاعلة مؤثرة في سلوك الشخوص وأفعالها وممارساتها، وبل وحياتها كلها، فالشخصية هي نتاج للبيئة المكانية التي تولد وتنشأ وتترعرع فيها"[i]

فالبيئة الموصوفة تؤثر على الشخصية وتحفزها على القيام بالأحداث وتدفع بها إلى الفعل حتى أنه يمكن القول "إن وصف البيئة هو وصف مستقبل البيئة"([2]).

تمثلت الشخصيات في رواية "آمنت بك" بشخصيات رئيسة قامت عليها الرواية، وشخصيات ثانوية كانت مساندة للشخصيات الرئيسة، لتشكل الحدث وتربط خطوط السرد في الرواية، سامر وريم هما الشخصيتان الرئيستان في الرواية، ووالد سامر وأمه وأخته، ووالد ريم وصديقتها (نور) وصديقها سامر، كل هؤلاء كانوا يمثلون شخصيات ثانوية لم يقم عليهم الحدث، ولكن بأي حال لا يمكن تجاهل دورهم في السرد الروائي.

جاء المكان يحمل مشهدًا روحانيًّا تلاقى المكان مع الروح ليشكلا معا وصفًا فنيًّا استطاعت الكاتبة من خلاله أن تضع المتلقي في أجواء روحانية تستقدم فيها ملمحًا معبرًا عن الأحداث التي ستأتي لاحقًا، وقد وظفت الكاتبة اسم الإشارة هنا تعبيرًا عن المكان "الظلام هنا"، فهنا تشير إلى المكان الذي تمثلت به شخصية الرواية، ولعل الظلام صفة تستدعي الخوف والقلق والضبابية، وعدم وضوح الرؤيا، لكن ربط هذا الظلام بدور العبادة، تلك التي تمنح الطمأنينة والسكينة، "الظلام هنا أشد من أن يمنحك روح دور العبادة"، فقد ارتبط الظلام بدور العبادة، فالكنائس لم تكن على تلاقٍ مع الإضاءة، "**ألهذا لم تكن الكنائس يوما مضاءة بحق**"[(3)].

جاءت الكنيسة أول الأماكن التي حطت بها ركاب الشخصية، وقد جاء المكان معبرًا عن الحالة النفسية التي تعيشها الشخصية "**يبدو ثقل الهموم واضحًا في ملامحه. يُحدِّق بكل ما حوله باستغراب، من يلحظ لمعان عينيه الحادتين. يجزم أنها المرة الأولى التي يدخل بها الكنيسة**"[(4)].

ونجد هذا المكان يعبر من خلاله السارد عن طبيعة الشخصية، تلك الشخصية التي تفتقد إلى السلوكيات الإيمانية، فهي لم تعتد زيارة هذا المكان(الكنيسة) "**هو الذي لم يعتد اللجوء لهذا المكان، بقدر ما اعتاد الهروب منه..**"[(5)]، نجد المكان قد فتح نافذة على شخصية (سامر) هذا الشاب المسيحي، الذي دخل الكنيسة، هذا المكان الذي يفتح صفحة من صفحات الشخصية، هي الصفحة الدينية، فهو ليس من رجالات الدين، ولم يكن ملتزمًا بطقوس المسيحية التي ترتاد الكنائس، ومن خلال ذلك يتبين أن شخصية سامر لم تكن تطغي الدين على العلاقات الإنسانية، فالهروب له دلالة واضحة على أن الدين لم يكن موجها لسلوكياته وعلاقاته الإنسانية، ونجد فضاء المكان (الكنيسة) قد وظف للكشف عن بعض ملامح الشخصية الرئيسة في الرواية.

ثم ينتقل السارد بشخصيته إلى المكان الأرحب ماديًّا، ينتقل إلى المدينة، تلك التي جعلت من معالم الشخصية أكثر وضوحًا، ولكن المكانين يلتقيان مع الشخصية في بؤرة الصمت، وهي المدينة التي تعج بالضجيج والازدحام، لكن مع ذلك الضجيج كان صامتا كما هو حاله في الكنيسة، والمدينة ذلك المكان الذي يوحي إلى الاتساع الجغرافي، وقد تحول إلى ضيق مكاني لا يتسع لسكانه، ذلك عندما أصبحت المدينة ثقلًا على نفسية قطنها، "**التحدث عن تفاصيل هذه المدينة وشوارعها يمنحك شعورًا موحشًا....**"[(6)]. لم تخرج الروائية في وصفها للمدينة عما اعتادت عليه

الرواية العربية، فغالبا ما تظهر المدينة بهذه الصورة القاتمة، فرغم اتساع المدينة الجغرافي، إلا أن فيها ما يشعر بالوحشة، هذه الوحشة التي تتصدر مشاعر الروائي، فرغم ضجيج المدينة وازدحام شوارعها بالمارين هنا وهناك، إلا أن ذلك لم يكن يعني شيئًا، فالوحشة لا تتأتى إلا من العزلة، وخلو المكان من قاطنيه، لكن الوحشة هنا كانت وحشة مصدرها الشعور النفسي، وهذا يعبر عن الحالة النفسية التي من خلالها ينظر إلى المدينة.

في المدينة يسيطر العمل على تفاصيل الحياة، فالكل ينهض إلى عمله في مؤسسته أو تجارته أو جامعته أو مدرسته، "**الناس هنا أيضًا اعتادوا طبيعة المدينة، يسيرون دون أن يلتفتوا لشيء، لم يشاركهم هذا اليقين؛ فجميعهم يعرفون الوجهات التي يقصدونها إلاه**"[7]، يتقارب ناس المدينة أجسادًا أثناء سيرهم، لكنهم يجهلون هوية بعضهم، فمعرفة الناس ببعضهم تكاد أن تكون منعدمة، لأن كل واحد منشغل في عمله، هذه المدينة تظهر ملمحًا آخر من ملامح شخصية الرواية (سامر)، فهو في حالة ارتباك وتشتت، لا يعرف ماذا يريد، ويجهل مقصده، في هذا المشهد دلالة على أن الشخصية القادمة لم تكن تملك عملًا، لذلك تاهت منه بوصلة التوجه إلى الجهة التي يقصدها، لأنه لا جهة له كما هي عند باقي الناس العاملين.

علاقة فضاء المكان بالزمان:

يتشكل الزمن في كل موقف وفي كل لحظة، ذلك لأنه الإطار الحافظ للعناصر الأخرى من أن تزول وتندثر، فلا شيء يعدوه ولا يحول دونه، وهو من الوحدات الأساسية الأولى في بناء الرواية، كما أنه الأداة الطيعة لدى المؤلف والصعبة في آن واحد، تضفي على الرواية أشكالا متنوعة من الفهم ومن التأويل. أما "المكان فمن العناصر المهمة في القصة والرواية ففيه تدور الأحداث وتتحرك على أرضه الشخصيات"[8].

نجد المكان تتبدل رمزيته فيصبح مقصدًا للسياح" **لهذا ما زالت مكتبة الزاوية هنا، لم ينافسها أحد، ولم تتغير كذلك، سوى أنها أضحت مكانًا يقصده بعض السياح، لما توحيه تفاصيله من قدم، وكما كان دومًا، المكان الأول لسكان المدينة وطلابها إن أرادوا البحث في شيء ما، أو الحصول على كتاب معين"(9).** تستحضر الروائية تفاصيل المكان ضمن تقنية الاستذكار، فهذا المكان (المكتبة) رغم تبدل الزمان ومرور الأيام وتغير العصر إلا أن هذا المكان بقي كما هو في الماضي، فما يزال مقصدًا لطلاب المدينة عند سعيهم لكتابة بحث، أو عندما يريدون أن يحصلوا على كتاب معين، في هذا المجال المكان كما هو، فلا فرق بين الماضي والحاضر، إلا أن هناك شيئا قد استحدث على هذا المكان يتمثل بزيارة السياح إليه، وزيارة السياح إلى أي مكان عادة ما تدل على أصالة ذلك المكان وتاريخه، في هذا الاستحضار يتبين أن هناك ملمحًا للمقارنة بين الماضي والحاضر، ليقف المتلقي على تفاصيل هذا المكان في زمنه الماضي وتفاصيله في الزمن الحاضر.

ويبقى سامر عند هذا المكان (المكتبة) مع تقنية الاستذكار، فيحضر من ذاكرته صورة لطفولته مع هذه المكتبة، وتبقى المقارنة قائمة بين علاقة (سامر) بهذا المكان بين طفولته التي استحضرها من الماضي وواقعه الحالي، فقد كان المكان بالنسبة له ملجأ للحصول على بعض الكتب "**بالنسبة له، كانت مجرد ذكرى قديمة من طفولته يتردد إليها في بعض الأحيان؛ ليحصل على كتب ومراجع يستخدمها في أبحاثه المدرسية، أما الآن وقد مرت سنوات على ذلك، لم تعد مكانا**

يهمه بشيء، ولولا تلك الموسيقى التي سمعها لما كان ليدخل أساسًا"[10]. إن حصول (سامر) على الكتب في طفولته التي تتمثل في الزمن الماضي وتلك العلاقة المتينة التي تربطه بالمكتبة قد تبدلت وتغيرت في زمنه الذي هو فيه، فلم يعد هذا المكان يمثل له أهمية، وكأنه يوحي إلى أن (سامر) قد ابتعد عن القراءة والثقافة والمعرفة مع مرور الزمن، فالحياة وظروفها قد تبدلت والاهتمامات قد تغيرت، ونلاحظ من خلال هذا المشهد الروائي بابًا للولوج إلى ما يشغل اهتمامات (سامر)، إنها الموسيقا التي عملت على دفعه إلى الدخول إلى المكتبة، ففي الماضي كانت الكتب والمراجع هي الجاذبة للدخول إلى المكتبة عند (سامر) أصبحت الموسيقى هي الجاذبة إلى ذلك. وكأن الروائي هنا يريد أن يستحضر من القادم ما سيكون له تأثير على حياة (سامر) هي الموسيقى التي سيأتي دورها لاحقا في حياة (سامر) من خلال قادم الزمن.

ويشكل المكان مع الزمان حالة من الحالات التي لا تتوافق مع المنطق، فنجد المكان يتنافر مع الزمن، فيستحضر المكان وجود الشخصية في بعض الأزمان، التي لا تتناسب معها، فالصباح الباكر لم يكن زمنًا يتناسب مع المكان(المكتبة) "**يقف أمام المكتبة واضعا يديه على حافة السياج الخاص بالدرج، ينظر إلى زجاج المكتبة ويتساءل، إن كان هناك أحد في الداخل، ينظر إلى ساعة يده، تشير الآن إلى الثامنة والنصف، يحدث نفسه.. (أي شخص حلم بالقراءة ليلة أمس؛ حتى يأتي في باكر الصباح إلى المكتبة؟"**[11]. وجدت المكتبة في الأصل للقراءة والثقافة والمعرفة، والصباح الباكر من الأوقات التي لا تتفق مع زيارة المكتبة، فالزمان عندما تلاقى مع المكان في غير توافق منح المشهد دلالة واضحة على أن حضور (سامر) إلى المكتبة في هذا الوقت المبكر جدا، لم يكن هدفه القراءة ولا الثقافة، لكن هناك شيئًا آخر دفعه إلى الحضور، ونجد أن توظيف الزمن بشكل دقيق مع المكان أظهر الحالة الوجدانية والنفسية لسامر، فهو يبحث عن أمر مهم، جعله يأتي إلى المكان في زمن لا يتناسب مع وجوده فيه، وهذا يعني أنه كان يستعجل موقفًا معينًا، أو لعله أراد أن يشاهد ما تدفعه روحه إليه.

علاقة فضاء المكان بالأحداث:

يمتاز الحدث بعدّة علائق مع سائر عناصر السرد، فله علاقة بالشخصية، فالحدث هو: "الفعل أو الحادثة التي تشكلها حركة الشخصيات لتقدم في النهاية تجربة إنسانية ذات دلالة معينة، فالكاتب ينقل إلى المتلقي الأحداث من خلال تطور شخصيات الرواية؛ فالشخصية هي التي تحدد للحدث الروائي مساره وتعكس كل ما يوحي به"([12]).

وهذه الأحداث والأعمال وما تحمله من حركات وأفعال داخل فضاء الرواية لا يمكن أن تتجاوز أن تجري في مكان وزمان معينين، فلا يمكن أن تقوم الأحداث دون مكان، "حيث لا توجد أحداث لا توجد أمكنة"[13]، فالحدث فعل إجرائي منفذ على أرض الواقع أي الواقع الروائي، "والمكان هو أحد العوامل الأساسية التي يقوم عليها الحدث"[14] ومن ثم فإن علاقة التمازج والتداخل بين المكان والحدث هي علاقة طبيعية ناتجة عن كون "المكان هو البعد المادي للواقع أي الحيز الذي تجري عليه الأحداث، ويكون علاقة تبادلية فهو مولد لفاعلية فكرية يوازي بها فعل الطبيعة لأحداثها ومواقفها فيصبح المكان مكاناً محسوساً وعنصراً من عناصر البناء الفني لا يستغنى عنه، بل يصبح الأرضية التي يشيد عليها الروائي بناء روايته وأحداثها، فهو يميل إلى أن يحوي بعضاً من

هوية الشخصيات وتواجدهم ومواقفهم ومسار الأحداث ومدى الفاعلية الإيقاعية المألوفة للحياة اليومية"([15]).

كانت الأحداث تمر تصاعديًا، بدأت بوصف لتفاصيل المكان ليكون بوابة للأحداث التي ستأتي فيما بعد، فتلك الكنيسة التي شكلت انطلاقة لجميع الأحداث، لم يكن حضور ذلك المكان عبثيًا بل كان إضاءة للمتلقي كي يرسم في متخيله ما سيأتي من الأحداث، ولعل القارئ للرواية بعد نهايتها يجد أن ذلك المكان كان رئيسًا في استجلاب الأحداث، وقد ارتكزت عليه أحداث الرواية، فالمكان كان يمثل رمزية الدين(الكنيسة)، ثم يلتقي مع مكان آخر هو المكتبة التي تمثل رمزية العلم والمعرفة والثقافة، لكنها كانت فضاء لانطلاق حكاية الحب الذي جمع (سامر) بـ(ريم)، فالمكتبة هذا المكان الذي انحرفت تبلورت به أحداث الرواية، ولعله المكان الذي أعاد شيئًا من التوازن إلى سامر "**فقد كان يقف أمام كل متجر في طريقه؛ ليسرق من الوقت دقائق يمكن أن تنهيه، استطاع رغم كل الأصوات التي تشوب صفاء الصمت، أن يميز صوت الموسيقى في المتجر الذي يقف أمامه، هي المكتبة القديمة في الشارع الرئيسي الذي تبدلت معالمه كثيرا منذ طفولته دون أن يفقد طبيعته، قد تتغير المحال التجارية، قد تكبر وقد تتوسع، لكن هذه الشارع يبقى الأعرق في روح المدينة، وهذه المكتبة ما زالت مكانها كما كانت منذ أعوام، تقف في زاوية الشرع بعبق الأصالة الذي تحمله، لم تكبر كالمتاجر الأخرى، بل ربما أصبحت الأصغر بينهم، لكنها ما زالت تعمل كما في السابق! القراءة هي الشيء الوحيد الذي لا يتبدل في مجتمعاتنا**"([16]). يظهر في المشهد السابق (سامر) ضمن تفاعله مع الأحداث التي سيدفعه إلى مكامنها المكان، فالمكتبة ترتب الأحداث بتسلسل منطقي، فالأحداث القادمة تنبني على ما يظهر من تفاصيل المكان، فالمكان هو بداية الانطلاق للأحداث التي مهد لها المكان(المكتبة)، فجاءت الأحداث اللاحقة مترابطة متماسكة متسلسلة كانت البداية من هذا المكان الذي وضعت به الأحداث بدايتها.

وقد تحركت الأحداث ضمن الفندق الذي جعله (سامر) بديلًا لبيت أسرته الذي كان يعيش فيه، فتحول الفندق إلى بيت، لكنه مكانًا انعزل فيه (سامر) عن أسرته، في هذا المكان المغلق تعالقت الأحداث معه، فشكل محركًا لتلك الأحداث، ونجده قد أضفى على (سامر) نوعًا من حرية الحركة، فيخرج متى شاء ويعود متى شاء، بعكس بيت أسرته الذي كان الأب فيه يحاسب ابنه على التأخير، ففي مشهد حواري بين سامر ووالده الغاضب من عودته متأخرًا، يظهر المكان، وكان في نهاية الحوار " **لا أريد من هذا المكان شيئًا، لا أريد شيئًا منك، اتركني وشأني فقط، سأكون ممتنًا**"([17]). نجد المكان يقيد الأحداث ويجعلها تسير في خطٍّ واحد، ذلك الخط الذي يرسمه الأب، فهو الذي يسيطر على أحداث بيته؛ لأنه هو الناهي والآمر، بينما نجد الفندق عكس ذلك فهو يمثل نقطة انطلاق أخرى مضافة إلى المكتبة في تشكيل الأحداث "**في اليوم التالي، وجد نفسه وحيدًا يسكن فندقًا متواضعًا، يستغل يومه في البحث عن عمل، وينهيه بزيارتها من دون تردد أو تفكير.....**"([18]). نلاحظ أن المكان هنا قد شكل حيزًا لبعض أحداث الرواية، فمنه ينطلق (سامر) وإليه يعود، وهو يشكل بهيئته المتواضعة دلالة على الحالة المادية التي وجد (سامر) نفسه عليها، فالفندق المتواضع كان يتناسب مع إمكانياته المادية بعد خروجه من بيت أسرته.

ذلك الفندق الذي عايش بعض أحداث الرواية، تلك التي كانت تحمل ضنك الحياة، والبطالة عن العمل، والتشرد عن الأهل، والشعور بعدم الأمان، جاء الفندق الجديد الذي يشكل مكانًا

جديدًا بعد أن وجد (سامر) عمله في نفس الفندق عازفًا للقيثارة، كان هذا الفندق بوابة لأحداث الرواية الأخرى التي عبرت عن بعض الاستقرار، والشعور بالأمان، ووجود العمل " **يقف في شرفة غرفة الفندق التي صاريسكنها بعد عمله هنا، ويتوكأ على الحافة حانيًا ظهره، تقارب شمس الفجر على الشروق، يفكر بهدوء...**"[19]. تغير الفندق وانحرفت مع ذلك الأحداث، فقد بدت الأحداث أكثر وضوحًا وأكثر تفصيلًا، ونجد المكان(الفندق) كان له دور واضح في تحديد معالم الأحداث. فالمكان الجديد(الفندق) بات يعبر عما يشعر به (سامر) " **يشرب قهوته الصباحية في قاعة المطعم، في الفندق الذي بات يسكنه، هو الذي لم ينم طيلة الليل، يفكر بما سيفعله (ساري)، وبردة فعل(ريم)...**"[20]. نجد أن المكان أخذ يحرك الأحداث، فانتقال (سامر) إلى الفندق الجديد، كان يرافقه مجموعة من الأحداث التي أخذت بالتصاعد، وبدأت تتشابك لينتبه المتلقي إليها ويحاول أن يتوقعها قبل وقوعها في السرد الروائي.

وكانت غرفته في ذلك الفندق تمثل محفزًا للأحداث التي تدور بين (سامر) ونفسه، "**في غرفته، يضرب الحائط بيده بعد أن أغلق الهاتف، يحدث نفسه بصوت مسموع: متكبرة، أنت فعلًا متكبرة، لم أرَ فتاة مثلك في حياتي، تعاملني كأهم إنسان في الوجود، وتقاومني حتى الموت، معقدة أيضًا، أنت حقًّا كذلك**"[21]. كان المكان محفزًا لإخراج مشاعر (سامر)، ويستطيع فيه أن يعبر عما في داخله، فما كان يحدث به نفسه داخل تلك الغرفة الفندقية لم يكن يستطع أن يتحدث بذلك خارج جدران الغرفة، لذلك كان المكان مساعدًا على تبلور الأحداث وإظهارها من خلال المونولوج الداخلي الذي ظهر في هذا المشهد.

وإن كانت غرفة (سامر) في الفندق هي المحيط الذي إليه يلجأ ليخرج ما يدور بداخله، فقد كانت غرفة (ريم) في منزلها تؤدي نفس الدور، "**تسند رأسها على زجاج النافذة البارد، لتنهمر دموعها الحارة بيأس، تهمس: متكبرة.. أنا لست متكبرة يا (سامر)، أخافك.....**"[22]. نلاحظ أن (ريم) تفرغ ما بداخلها في مكان تشابه مع مكان (سامر)، هي الغرفة الخاصة لكل منهما، والحدث في كلا الحالتين متشابه، هو حديث النفس، وتوضيح المواقف.

المكان الجديد (الغرفة في الفندق) كانت سببًا في بداية النهاية، أو يمكن القول إنها شكلت النهاية، أو كانت بها كشف الحقائق التي أعلنت النهاية، في تلك الغرفة التي نسي بها (ساري: الاسم الذي كان بديلا عن الاسم الحقيقي لـ (سامر) الذي استخدمه للتضليل عن اسمه الحقيقي) صليبه والكتاب المقدس، ووجدوهما الذي كشف الحقيقة لـ (ريم) عندما رأتهما على طاولته في تلك الغرفة، فكتبت إليه بعد أن اكتشفت الحقيقة "**نظرت إلى الكتاب وسارت نحوه (الكتاب المقدس) ضمت يديها معًا كمن شعر بالبرد فجأة، ونظرت حولها بخوف؛ لتلاحظ الصليب الموضوع على ذات الطاولة بجانب الكتاب، حدثت نفسها بضيق: هذا إذًا، هو ذاك الطوق الذي لم أرَ نهايته يومًا**"[23] في المكان تكشفت الحقيقة المخفية، التي أخفاها (ساري) عن ريم، تكمن الحقيقة في أمرين: الكتاب المقدس، والصليب، فالحقيقة المخفية هي الديانة التي يعتنقها.

وبعد أحداث هنا وهناك تأتي لحظة إعلان النهاية في المكان نفسه، في تلك الغرفة الفندقية، حيث الكتاب المقدس والصليب "**ثم أخرجت ورقة وقلمًا من حقيبتها، كتبت وقد ملأت الكلمات بدموعها كما امتلأت بالحبر:"هنا ننتهي"**

وضعتها على الطاولة بجانب الكتاب وخرجت"[24]

إعلان من ريم عن النهاية، كان إعلانًا مكتوبًا بألم الحرقة، لعلها لم تكن تقدر على مواجهة النهاية، فكتبت النهاية بيدها، في هذا المكان تولدت المشاعر وترعرعت الأحاسيس، وفي نفس المكان أعلنت النهاية.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة فضاء المكان في رواية "آمنت بك" لليلى بشار الكلوب، وعرضت لأهم التقنيات السردية ذات العلاقة المباشرة مع فضاء المكان، المتمثلة بالشخصيات، والزمان، والأحداث، وقد أظهرت نتائج الدراسة ما يلي:

1.ظهرت العلاقة ذات الارتباط الوثيق بين فضاء المكان والشخصيات، فشكل المكان فضاء لتشكل الشخصية، مؤثرا بها نفسيا ووجدانيا، وسلوكيًا، فقد كان المكان نقطة فاصلة في معالم الشخصية وامتداده من خلال النص السردي.

2.شكل المكان مع الزمان حالة من وضوح الرؤيا، فكان الزمان في بعض حالاته متعالقًا مع المكان، ومتنافرا في حالات أخرى، وفي كلا الحالتين كان المكان يؤدي دوره المتميز في إسقاطات الزمان ودلالاته.

3.جاء المكان عنصرًا فاعلًا في تحريك الأحداث، منسجمًا مع تغير الأحداث وتبدلها، وقد كان المكان مؤثرًا في تصاعد الأحداث أو هبوطها، ومنح الأحداث في بعض أوقاتها نقطة التحول لها.

يمكن أن تكون هذه الدراسة بوابة لدراسات أخرى تتناول تقنيات سردية في هذه الرواية أو غيرها، ويمكن أن تتناول بعض الدراسات القضية المحورية التي سلطة هذه الرواية الضوء عليها، وهي قضية الحب والدين.

المراجع:

1-بحراوي، حسن، (1990)، بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي

2-بورنوف، رولان؛ وأوئيلين، ريال، (1991)، عالم الرواية، ترجمة نهاد التكريتي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.

3-الحراحشة، منتهى طه، (2000)، الرؤية والبنية في روايات زياد قاسم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.

4-الحوامدة، نجود عطا الله، (2018)، الخطاب الروائي في رواية (متاهة الأعراب في ناطحات السحاب)، للروائي مؤنس الرزاز، عمان، الأردن، وزارة الثقافة.

5-عبد الله، محمد حسن، (1998)، الريف في الرواية العربية، الكويت، سلسلة عالم المعرفة.

6-القضاة، محمد أحمد، (2000)، التشكيل الروائي عند نجيب محفوظ: دراسة في تجليات الموروث، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر

7-الكلوب، ليلى بشار، (2019)، آمنت بك، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، مدينة الشارقة للنشر.

الهوامش:

(i) الحراحشة، منتهى طه، الرؤية والبنية في روايات زياد قاسم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، 2000، ص55.

(2) بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، (الفضاء، الزمن، الشخصية)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1990، ص30

(3) الكلوب، آمنت بك، ص9

(4) الكلوب، آمنت بك، ص9

(5) الكلوب، آمنت بك، ص9

(6) الكلوب، آمنت بك، ص10

(7) الكلوب، آمنت بك، ص10

(8) عبد الله، محمد حسن، الريف في الرواية العربية، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1998، ص180.

(9) الكلوب، آمنت بك، ص11

(10) الكلوب، آمنت بك، ص11

(11) الكلوب، آمنت بك، ص20.

(12) القضاة، محمد أحمد، التشكيل الروائي عند نجيب محفوظ: دراسة في تجليات الموروث، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000، ص69.

(13) بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، ص30

(14) بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، ص29

(15) الحوامدة، نجود عطا الله، الخطاب الروائي في رواية (متاهة الأعراب في ناطحات السحاب)، للروائي مؤنس الرزاز، عمان، الأردن، وزارة الثقافة، 2018، ص224.

(16) الكلوب، آمنت بك، ص11

(17) الكلوب، آمنت بك، ص25

(18) الكلوب، آمنت بك، ص33

(19) الكلوب، آمنت بك، ص71

(20) الكلوب، آمنت بك، ص97.

(21) الكلوب، آمنت بك، ص42

(22) الكلوب، آمنت بك، ص42

(23) الكلوب، آمنت بك، ص116

(24) الكلوب، آمنت بك، ص117